د:فركوس ياسر **المحاضرة الرابعة**

العلاقات بين الممالك البربرية والفينيقيين.

قبل كل شئ يطلب من الطالب الرجوع الي بعض المصادر و المراجع لهذه المحاضرة :

- محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ج2 ، 2003.
- صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر ،دار العلوم ، عنابة .
- محمود فهمى حجازى ،علم اللغة العربية ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

أصل الفينيقيين:

الفينيقيون من القبائل السامية التي نزلت أرض آرام أي الشام، وإقليمهم ضيق النطاق بين بحر الشام وأعلى سلسلة في جبل لبنان، وتدخل فيه صور وصيدا وأرواد وجبيل وبيروت، ومنهم من أدخل فيه البترون وطرابلس. ولم تكن فينيقية مملكة قائمة برأسها بل كان لكل ناحية مدينة صغيرة تستقل بها، ولها مجالس وملك تحكم نفسها بنفسها، وتبعث بنوابها إلى أعظم مدينة فينيقية لفض المصالح المشتركة. وكانت صور محط رحال النواب منذ القرن الثالث عشر، ولما لم يكن الفينيقيون أمة حربية خضعوا لسطوة الفاتحين من المصريين والآشوريين والبابليين والفرس وأدوا إليهم الجزية عن يد وهم صاغرون.

عرف أن الفينيقيين امة تجارية بحرية، فلم يحملها على دخول لمغرب الطمع في انتزاعه من يد أهله والاستبداد عليهم في وطنهم. ولذلك لم تملك منه غير السواحل اللازمة لحياة بحريتها. وأسست بها مدنا لترويج بضائعها بين الأهالي. وأقامت حينا من الدهر جارة للبربر تستخدمهم في مدنها بأجور يرضونها. وتستألف أمراءهم بالأموال خوفا من غاراتهم.

نزولهم بشمال افريقيا :

استقر القرطاجيون على الخليج التونسي قريبا من البحر بحيث تصيب سورها أمواجه. ولحسن موقعها حازوا السيادة التجارية، فأمة الفينيقيون من الشام، والبربر جيرانها الأقربون، وغيرهم من الأمم، فاستبحر عمرانها وكثرت مبانيها وسكانها ولما تأسست قرطاجنة اقتطع الفينيقيون من داخل الوطن البربري قطعة استوطنوها ودخل أهلها تحت طاعتهم. وأطلق على هذا القسم اسم " ليبيا فينيقيا " وعرف الفينيقيون هؤلاء باسم البونيقيين.

دولة قرطاجنة تأسست سنة 88 قبل الميلاد أسستها ديدون[i] ، وقد بلغت هاته الدولة الغاية في الحضارة والعمران والقوة، لهم معرفة وحذق بأساليب الملاحة والتجارة وما وقع الاكتشاف عليه من آثارها يدل على ذلك، واستولت على جزر كثيرة وامتدت شوكتها في الأرض وبعد صيتها حتى صارت لا ترى غيرها وزعيمتها إذ ذاك في الشوكة دولة الرومان بروما وكانت على غاية في القوة[ii] .

العلاقات السياسية الفينيقية البربرية :

لم يكن للفينيقيين مطامع استعمارية في بربر الجزائر ولم تكن تخدعهم بالوعود الكاذبة كما لم تكن لها مطامع توسعية بل و بطلب من مملكة النوميد الشرقية تبعت إلي الفينيقيين كل من: **هبون بونة ،روسفاد السكيكدة ،شولو القل، اجلجلي جيجل ،صلداي بجاية، روسوقورو تاقصبت ، دلس او تقزيزن(رسجونيا) مطيفو، اقسيوم الجزائر، تباسا، يول شرشال،** التي كانت علي صراع دائم مع شقيقيتها الغربية بقيادة ماسنيسا هذه العلاقة السياسية التي بنها صيفاقص مع القرطاجيين عبر المصاهرة لم تكن لربط الدم بقدر ماكانت للتغلب علي غصمه و مهدد ملكه في الشرق ،ولم يتجاوز البونيقيون السواحل الى داخل الجزائر إلا في الجهة الشرقية حيث كانت نوميديا الشرقية تحت حمايتهم ومن المدن أيضا **تغاست Thagaste -سوق اهراس (مدوروس- Madoure - مداوروش، تيفيست "- Thèvesté -تبسة."**ولهذا القسم الداخل تحت أشراف قرطاجنة حدود تفصله عن ليبيا فينيقيا وتلك الحدود خنادق تعرف بالخنادق الفينيقية.

ولقد بلغت حماية قرطاجنة في الشمال الشرقي لنوميديا الى رأس بوقرعون" ناحية القل "وجهة ميلة. ومن المحقق أن قرطاجنة لم تدخل تبسة " بالجنوب الشرقي النوميدي "الا سنة 250) ق. م (ولم تبق بها إلا خمسين سنة إذ أصبحت قرطاجنة عاصمة الفينيقيين . وكان لقرطاجنة منذ أواخر القرن الخامس ق. م جنود مرتزقة من نوميديا وموريطانيا. والنوميديون هم الذين أعانوا حنبعل بأوربا علي روما . وإليهم يرجع الفضل في انتصاراته الكثيرة الباهرة.وكانت بين قرطاجنة وبعض أمراء البربر بالوطن الجزائري معاهدات تقضي بإعانة

أولئك الامراء لقرطاجنة أيام الحرب و الواقع أنه كانت بين قرطاجنة وبربر الجزائر روابط بالمصاهرة والمعاهدة، واختلاط في الجندية كلها عززت قوة الفينيقيين في المنطقة لأنهم لم تكن لهم نية في بناء الجيوش و الاستعمار في الوقت الذي كانوا يملكون فيه أسطولا بحريا بقدر الرومان الذين أسسوا الجيوش ولم يبنوا السفن الحربية استطاعوا لاحقا ان يحتلوا الجزائر.

مصينيسا و الفينيقيين :

مصينيسا بن غولة بن نارفاس. ربي بقرطاجنة. وكان سلفه حليفا لدولتها. فخاض مع القرطاجنيين حروبهم مع الرومان بالاندلس.

وقد شاهد قائد الرومان بالأندلس سبيون الأفريقي. ما لمصينيسا من القدرة الحربية. فصار يخاطبه في ولاء رومة. واتفق أن وقع مصيفا ابن أخي مصينيسا أسيرا بيد سبيون سنة207 فسرحه تقربا من عمه. كل هذا ومصينيسا محافظ على ولائه لقرطاجنة.

وفي سنة 206 توفي غولة وأعقبته ثورة مزوطيل. فلم تحافظ قرطاجنة على أمواله ومملكته. وذلك استخفافا بمصينيسا الذي لولا اشتغاله بخدمتها لم يقع ما وقع بمملكته. فغضب لذلك واضطر لمحالفة الرومان.

رجع مصينيسا من الاندلس ومر بموريطانيا وطلب من ملكها بوكار شرذمة من الرجال لحمايته في طريقه. فأمده مصانعة. وأغذ السير حتى دخل وطنه. فهرع إليه أنصاره.

وبدخوله وطنه دخل في حرب قريبه مزوطيل والملك الصوري لكومسيس. فكان النصر حليفه وفر ابن عمه لكومسيس الى صيفاقس فأمده وأعاد الحرب ثانية. فعادت عليه الهزيمة. وبعد أن رأى مصينيسا عجز ابن عمه عن الحرب رق له وقربه وأشركه في الحكم. فجمع بذلك شمل أسرته وأعرب عن دهائه وحكمته. هذه الحركة السياسية الذكية التي قام بها

ماسينيسا تجاه ابن عمه مهدت له الطريق لتوحيد النوميديتين و يكون زعيما علي افريقية ، اذ لما هزمه ضمه اليه واستماله الي جنبه ضد من جنده ضده .

البربر و الحروب الرومانية الفينيقية :

لما رأى سبيون ان ينقل الحرب الى أفريقية- كما فعل من قبله أغاثوقلس- وجد نفسه في حاجة الى استمالة النوميديين. فذهب الى أفريقية. وتمكن من عقد محالفة مع صيفاقس ملك مصيصليا ضد قرطاجنة. وبذل صدر بعل ابن جسقون جهوده لابقاء صيفاقس على ولائه لقرطاجنة فلم يفلح أولا. ثم عاد سبيون الى الاندلس. وبها ماسينيسا مع صدر بعل على الرومان فاستماله أيضا. وكان عدو صيفاقس. فوجد صدر بعل بذلك سبيلا الى ايغار صدر صيفاقس على الرومان. فانتزعه منم وأعاده في صف قرطاجنة. جمع سبيون لفتح افريقية جيشا يشتمل على ثلاثين ألفا.

وكان ماسينيسا قد وقعت له حروب مع صيفاقس انهزم فيها وصار متشردا بالصحراء. فلما حل سبيون بأفريقية جاءه نجدة له. وجاء صيفاقس منتصرا لصدر بعل. ووقعت بين الفريقين معركة أولى انهزم فيها سبيون مكيدة. وأظهر رغبته في الصلح. وبينما هم في المفاوضة إذ هجم سبيون على صدر بعل وماسينيسا على صيفاقس ليلا وحرقوهم بالنار. فكانت على القرطاجينيين وقيعة شنعاء وذلك سنة) 203 ق.م وخضعت إذ ذاك قرطاجنة لسبيون طالبة منه الصلح. كل ذلك وحنبعل محاصرا ايطاليا . ولما بلغه ما حل بدولته عاد الى وطنه سنة 202 ق.م .

توحيد النوميديتين:

لما جاء سبيون الى أفريقية انضم الي ماسينيسا وحارب معه حتى سقط صيفاقس في يده وعاد منتصرا ودخل قرطة عاصمة سلفه. واعترف له الرومان بالسيادة على ماسيليا في سنة 158استقل بملك النوميديتين كما كانت قبل.اتسحت منذ ذلك الحين مملكته وصارت تشمل ما

بين طرابلس ومراكش و ما كان من التراب التونسي تحت قرطاجنة. وبقي على محالفته لروما.

العلاقات الاقتصادية:

لقد كان الهدف من لا شك أن القرطاحينيين لم تكن لهم نية التوسع ببلاد المغرب عامة والجزائر خاصة ، بقدر ما كان يهمهم بالدرجة الأولى استثمار أهل البلاد واستغلالهم ، حيث كان هذا الاستغلال " استغلالا قاسيا وقبيحا ، جعلهم يكرهونهم إقامة تلك العلاقات الودية ، هو تحقيق المصلحة بتوفير الأمن للساحل بالازدهار التجاري . وإذا كان البرابرة قد أخذوا عن القرطاجنيين بعض التقاليد الزراعية والكتابة وبعض العادات ، إلا أنهم لم يعرفوا الاستقرار أو الازدهار[iii].

اللغة الفينيقية:

اكتشفت في حوض البحر المتوسط، نقوش فينيقية وجدت في المنطقة الساحلية لآسيا الصغرى وعلى الساحل الأوربي للبحر المتوسط وخصوصا في جنوب إسبانيا.ويطلق على اللغة الفينيقية في امتدادها في المغرب اسم اللغة **البونية** ويقسم تاريخ اللغة الفينيقية في هذه المنطقة الإفريقية إلى مرحلتين: البونية والبونية الحديثة. تبدأ اللغة البونية بانتشار الفينيقيين في المنطقة حوالي القرن التاسع قبل الميلاد، وتنتهي بسقوط قرطاجنة سنة146 فقد قضى الرومان الذين نازعوا الفينيقيين السيادة البحرية ودخلوا معهم في حروب متصلة على مدينة قرطاجنة واحتلوا المنطقة اللغوية البونية، وبعد سقوط قرطاجنة تبدأ الفترة الثانية في حياة اللغة البونية. لقد خضع البونيون للرومان، وكان الرومان في مركز السيادة ولذا تأثرت اللغة البونية الجديدة باللغة اللاتينية من أكثر من جانب. لقد دخلت ألفاظ لاتينية كثيرة إلى اللغة البونية[iv].

ومهما يكن من امر فان العلاقات البربرية الفينيقية تميزت بالتاثير و التاثر فما كان للممالك البربرية ان تصمد وان تحافظ علي قوتها وفي الاخير علي وحدتها ، لو لم تكن قرطاجنة ذات بعد استعماري وكذا استثمارها في بناء جيشها من النوميد للدفاع عن بقائها .

---

[i] وأول مَن وضع هذه المدينة امرأة تسمى أنسية ديدون فنيقية وتدعى عليسة من بنات بعض الملوك وكانت زوجة ملك من كبار ملوك الروم ومات ولم يكن لها ولد وكان لها أخ وكان ملكاً أيضاً فأراد الاستيلاء على ملكه وما خلفه من الخزائن والأموال فماطلته حتى ركبت البحر بجميع ذخائرها ودخلت إفريقية وأسست قرطاجنة وعمرتها وأنشأت الدور والجنان والقصور. وفي الاستقصى قرطاجنة إحدى مدن الدنيا الشهيرة هدمها الروم قبل المسيح عليه السلام بمائة وستة وأربعين سنة . محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ج2 ، 2003، ص 120 .

[ii] محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف ، نفسه ، ص 121 .

[iii] صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر ،دار العلوم ، ص 16 .

[iv] محمود فهمى حجازى الناشر ،علم اللغة العربية المؤلف ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص162 .